الانتصـار الاول في معركة تحتسب فيها النتائج بالنقاط، بسبب استحالة تغلب أي من الخصمين المتصارعين، الاسرائيلي والفلسطيني، على الآخر بالضربة القاضية ؟

منذ البداية، أولت القيادة السرية للانتفاضة أهمية خاصة للتكتيك التنظيمي في مجال توحيد القـوى الرئيسـة المساهمة مباشرة في العملية النضالية، في اتجاه تشكيل تنظيمي موحّد (القيادة الوطنية الموحّدة)، ثم الانتقال، به ومن خلاله، من النضالات العفوية المتفرقة، التي سادت في المرحلة الاولى من الانتفاضة، الى مرحلة العمل النضالي المنظّم، وربط القيادة الجديدة، سريعاً، بالحركة الأم في الخارج، والتي سارعت، بدورها، الى الامساك بالحلقة الرئيسة والتكتيك التنظيمي الاول في اللحظة المنـاسبـة، فنجح الطرفان في ربط «الداخل الفلسطيني» بـ «الخارج الفلسطيني» الذي استجاب لشروط ومتطلبات عمل الداخل على الاصعدة التنظيمية والسياسية والاجتماعية وما يتفرع منها، في مرونة اكسبت م.ت.ف. قدرة على تحقيق انتصار سريع على التكتيك الاول المعاكس، والرامي الى فصل قيادة الداخل عن م.ت.ف. وتمزيق وحدة الطرفين، أو احداث خلل في العلاقة فيما بينهما، في الحد الادنى على الأقل. وهكذا أُقفلت، وخلال أسابيع فقط، حلقتان خطرتان، تتعلق الاولى منها بالنضال العفـوي غير المنـظم وغـير المبـرمج؛ وتتعلق الثانية بتعدد القوى التنظيمية المساهمة في النضال، واحتمـالات ظهور خلافات تنظيمية أو سياسية حادّة فيما بينها، تؤدي الى قيادة الصراع، بطرق مختلفة وتكتيكات متضاربة.

*
* *

أدى نجاح التكتيك التنظيمي الاول الى نتيجتين مباشرتين. فمن جهة، تجنّب الشعب الفلسطيني وقيادته مخاطر اضاعة الفرصة التاريخية التي أوجدتها الانتفاضة مع انطلاقتها، محدثة انعطافاً كبـيراً في مسار الحركة الوطنية الفلسطينية على امتداد العشرين سنة الماضية؛ ومن جهة أخرى، أمسكت القيـادتـان م.ت.ف. والقيادة الوطنية الموحدة، بالحلقة الرئيسة في مرحلة الانعطاف هذه (توحيد القوى في الداخل والخارج)، فانتقلتا، معاً، الى تأمين الظروف لانجاح تكتيكهما الثاني.

فقد خطت القيادة الموحّدة خطوة واسعة في اتجاه السيطرة على وسائل وأساليب وأشكال النضال المستخدمة في المجابهات اليومية مع سلطات الاحتلال الاسرائيلي، وتحريك، وتغيير، واستبدال، هذه الاساليب والاشكال في الاوقات المناسبة، وبمرونة كافية، فسجّلت القيادة الموحّدة نصرها الثاني في تكتيـك تحديد اشكال النضال المناسبة، وفقاً للمعطيات والظروف الخاصة بكل مدينة وبلدة وقرية ومخيم، وعلى مستوى الضفة والقطاع ككل. وأمكن، بذلك، تفادي السقوط في وهم النجاح السريع والحلول السهلة، وتجنّب «اغراءات» الكفاح المسلح الذي انطلقت دعوات كثيرة، في وقت مبكر، تحث على ممارسته، وعلى نطاق واسع، لارغام العدو على التراجع، فحل محل ذلك كله ما يمكن ان نسميه بالحرب الدافئة التي جعلت الحجارة سلاحها الرئيس. فهي ليست مجابهة كلامية، كما انها ليست حربـاً خيضت بالأسلحـة والذخيرة الفتاكة؛ حتى ان مجموع قتلى الجيش الاسرائيلي، خلالها، لم يتجـاوز الأربعـة. وحسب بعض الآراء، فقـد كان من الممكن لممـارسة مسلحة كهذه ان تجهض الانتفاضة في وقت مبكر، قبل ان تتمكن من ترسيخ أقدامها وتأمين شروط انتقالها الى هذا النمط من الكفـاح في مراحـل لاحقـة. وتعتقـد مصـادر اسرائيليـة بأن الفلسطينيين استفادوا من التجربة